

معنى «لا إله إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها

تأليف

الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩ هـ)

رحمه الله تعالى

عناية: ماجد بن سليمان الرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ أبناءُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر^١، رحمهم الله تعالى، عن الشرك بالله، ما هو الأكبر الذي دُم فاعله، ومأله حلال لأهل الإسلام، ولا يُعْفَرُ لمن مات عليه، وما هو الأصغر، فأجابوا^٢:

قد ذكر العلماء رحمهم الله أن الشرك نوعان؛ أكبر وأصغر، فالأكبر أن يجعل لله ندًّا من خلقه، يدعوه كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله.

والحاصل أن من سَوَّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾^٣، وقال تعالى عن أهل النار ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾^٤، قال بعض المفسرين: والله ما ساووههم بالله في الخلق والرزق والتدبير، ولكن ساووههم في المحبة والإجلال والتعظيم. وقال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾^٥، أي يعدلون به في العبادة.

ولهذا اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم؛ فقد كفر، لأن هذا كُفْر عابدي الأصنام، قائلين ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون^٦، ثم شهد عليهم

^١ هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر، ولد عام ١١٦٠ هـ في بلدة العيينة، نشأ في بيت حكم وإمارة، فأبأوه هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، منهم إمام الدعوة في زمانه، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولما بلغ في العلم مبلغاً كبيراً جلس للتدريس في العيينة، فدرس على يديه أئمة في العلم والعمل، وهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الله أبابطين، رحمهم الله.

وفي سنة ١١٢٢ هـ تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة، وتوفي فيها عام ١٢٢٥ هـ، رحمه الله.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتاب «النبهة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين»، وهي من إعداد الشيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله.

^٢ في نسخة «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١٠٢/٥) أن المسؤول هو الشيخ عبد العزيز قاضي الدرعية ومن حوله من العلماء، هكذا بدون ذكر نسبة للشيخ عبد العزيز رحمه الله، وأن هذه الإجابة تتقدم إجابات على عدة مسائل قد جمعت في مجموع واحد ووسموه «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية».

^٣ سورة البقرة: ١٦٥ - ١٦٧.

^٤ سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨.

^٥ سورة الأنعام: ١.

بالكذب والكفر فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^١ فهذا حال من اتخذ من دون الله أولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله.

وقال ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^٢، وقد أنكره الله في كتابه وأبطله^٣، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا من دون الله شفيعاً، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد الذي حقق قول «لا إله إلا الله».

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن من أذن له لمن وحّده، والشفاعة التي نفاها الله؛ الشريكية التي يظنها المشركون، فيعاملون بنقيض قصدهم، ويفوز بها الموحدون، فتأمل قوله ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟

قال: من قال «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه.^٤

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ما اعتقد المشركون؛ أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة **تجريد التوحيد**، فحينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه.

ومن جهل المشرك اعتقاده إن اتخذ من دون الله شفيعاً أن يشفع له وينفعه، كما يكون عند خواص الملوك والولاة، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في **الفصل الثاني**^٥ ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^٦.

وبقي **فصل ثالث**، وهو أنه ما يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول، وعن هاتين الكلمتين يُسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون؛ ماذا كنتم تعبدون؟، وماذا أجبتم المرسلين؟^١

^١ سورة الزمر: ٣ .

^٢ سورة يونس: ١٨ .

^٣ أي أنكر اتخاذ أولياء ووسائط بحجة أنهم يُقربون ويشفعون إلى الله.

^٤ رواه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: خالصاً من قلبه، أو نفسه.

ورواه أحمد (٣٧٣/٢) ولفظه: خالصة من قبل نفسه.

^٥ الفصل الأول هو تجريد التوحيد، ولعله يقصد بالفصل الشرط، والفصل الثاني أو الشرط الثاني هو أن يرضى الله قوله وعمله، ودليله الآية اللاحقة.

^٦ سورة الأنبياء: ٢٨ .

فهذه ثلاثة أصول تُقَطَّع شجرة الشرك من قلب من وعائها وعقلها، فالأول أنه لا شفاعاة إلا بإذنه، والثاني أنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، والثالث أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.

(وقد قطع الله تعالى كل الأسباب^٢ التي يتعلق بها المشركون قطعاً جميعاً، قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شافعاً فهو ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾^٣، فقال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعاة عنده إلا لمن أذن له﴾^٤، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع:

إما مالك لما يريده عابده منه.

فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك.

فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً.

فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شافعاً عنده.

فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفي الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعاة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعاة بإذنه، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك وموادّه لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتها، وتضمنه له، ويظنون في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يُعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يُحُول بين القلب وبين فهم القرآن، ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا؛ فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناؤله لأولئك.

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تُنْقَض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن ودَمَّه، وقع فيه وأقَرَّه، ودعا إليه وصوبه وحسنه،

^١ روى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فوريك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾، قال: يُسأل العباد كلهم عن حَلَّتَيْن يوم القيامة؛ عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين.

تفسير سورة الحجر، الآيات ٩٢ - ٩٣ .

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين.

«الرسالة التبوكية» (ص ٨٠)، الناشر: مكتبة الخراز - جدة.

^٢ هذا المقطع من كلام ابن القيم رحمه الله.

^٣ سورة العنكبوت: ٤١ .

^٤ سورة سبأ: ٢٢ - ٢٣ .

وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينقض بذلك عُرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ، ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان.^١

والكلام في هذه المسألة يحتاج إلى بسط طويل ليس هذا محله، وإنما نبهناك على ذلك تنبيهاً يعرف به كل من نَوَّرَ الله قلبه حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وحَرَّمَ الجنة على فاعله.

ولكن من أعظم أنواعه وأكثره وقوعاً في هذه الأزمان طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرًا﴾^٢: (إن هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)^٣، كما ذكر البخاري في «صحيحه» في تفسير سورة نوح، وكما ذكر غيره من أهل العلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، كما دُكر عن النبي ﷺ أنه قال: من حلف بغير الله فقد أشرك.^٤ ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلني لله نِدًّا؟ قل: ما شاء الله وحده.^٥

^١ «مدارج السالكين» (١/٦٠٠-٦٠١)، منزلة التوبة. (تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل - الناشر: دار طيبة - الرياض).

^٢ سورة نوح: ٢٣ .

^٣ انظر صحيح البخاري (٤٩٢٠)، و تفسير ابن جرير، سورة نوح: ٢٤ .

^٤ رواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢)، وأبو عوانة (٥٩٦٧).

ورواه الترمذي (١٥٣٥)، بلفظ: من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك - . (شك الراوي).

واللفظ الأول هو المعتمد لكثرة رواته، قاله الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

والحديث صححه الألباني رحمه الله.

^٥ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى» (10759) بلفظ: أجعلني لله عِدلاً.

ورواه البيهقي (٢١٧/٣) وأحمد (٢١٤/١) بلفظ: أجعلني والله عِدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قاله محققو «المسند».

وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

وهذه اللفظة أخف من غيرها من الألفاظ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده، وهذا الذي ذكرنا متفق عليه بين العلماء - رحمهم الله تعالى - أنه من الشرك الأصغر، كما أن الذي قبله متفق عليه أنه من الشرك الأكبر.

واعلم أن التوبة مقبولة منهما^١ ومن سائر الذنوب قطعاً إذا صحت التوبة واستُكملت شروطها، لكن ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبعه قال: (لا تقبل توبة القاتل)، وقد ناظر ابن عباس أصحابه، وخالفه جمهور العلماء في ذلك، وقالوا: التوبة تأتي على كل ذنب، فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل، واحتجوا بقوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا

وللفائدة، فقد روى النسائي في «الكبرى» (10758) عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه فقال: ما شاء الله، (يعني: وشئت). فقال: ويلك، أ جعلتني والله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده.

وروى الطيالسي (٤٣١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده. ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٨٤/٥) بلفظ: قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

وروى أحمد في «مسنده» (٧٢/٥) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن عزيزاً ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد).

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (المسيح ابن الله). قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وما شاء محمد).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحداً؟

قال عفان: قال: نعم. فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أمهاكم عنها، قال: لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

ورواه عبد الرزاق (١٩٨١٣) في مصنفه، وابن حبان كما في «مؤلفه» (١٩٩٨).

وروى البيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) والنسائي في «المجتبى» (٣٧٨٢) - واللفظ للبيهقي - عن قتيبة بنت صفية الجهني قالت: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنتم تشركون.

قال: سبحان الله! وما ذلكم؟ قال: تقولون إذا حلفتُم: بالكعبة.

فأمهل النبي ﷺ ثم قال: من حلف فليحلف برب الكعبة. ثم قال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء فلان.

فأمهل رسول الله ﷺ ثم قال: من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما: ثم شئت.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

قال محققو «المسند» (٣٠٠/٣٨) وفقهم الله: ويُقاس على هذا كل لفظ يوهم التسوية بين الخالق وبين المخلوق، مثل قول العامة وأشباههم:

توكلنا على الله وعليك، وما لي غير الله وغيرك، وباسم الله والشعب، مما ينبغي تجنبه والانتهاز عنه والتوبة منه، أدباً مع الله سبحانه.
^١ أي من الشرك الأكبر والأصغر.

تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم^١، وبقوله تعالى ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾^٢، فإذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فإن الله عز وجل غفار له.^٣

^١ سورة الزمر: ٥٣ .

^٢ سورة طه: ٨٢ .

^٣ انتهى كلامهم رحمهم الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٩٥/٢ - ٢٠٠)، و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥٦٤/٥ - ٥٦٨)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترت منها ما هو أنسب للسياق، أما الأحاديث فضبطتها من مصادرها.